

الجاحظ الأديب والعالم والمتكلم، ورجل الكلاسيكية الإنسية

على طلابه ويشرحها وهم يسجلون نقاطاً وملاحظات يناقشونه فيها أو لا يناقشون. وقد استمر الأمر على هذا النحو طوال القرن الثاني الهجري. وفي مطلع الثالث بدأ ظهور الكتب الثابتة الصيغة، وفي شتى الفنون، لكنها لم تسدّ وحدها حتى منتصف القرن الثالث.

وجهة النظر هذه تعرض لها بالقد والتصحيح غريغور شولر، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بازل. قال شولر في مؤتمر الجاحظ: إن مؤلفات القرن الثاني كلها كانت تلقى من جانب الشيخ، ويستمع إليها المهتمون والطلاب، ويسجلون الملاحظات. لكن إلى جانب هذه المؤلفات النامية أو المعرّضة للنمو، كانت هناك الرسائل الديوانية الثابتة النص منذ البداية مثل رسائل عبد الحميد الكاتب، وهي مكتوبة أصلاً لرجال البلاط والأمراء وكتب الديوان، وتتميز بأن لها مقدمة وخاتمة، وأن صيغتها واحدة، وإنها في القرن الثالث فشاخ نوعاً التاليف، النوع المقصود به المستمعين، أما في المقصود به القراء، ويتابع شولر (الذي يجمع منذ سنتين مع طلابه مدونة عروة بن الزبير) أن المسعودي (٢٤٥هـ -) المتأخر يعرض علينا مادة من النوعين: النوع الثابت صاحب النص النهائي مثل نصوص الجاحظ، والنوع الروائي المكتوب للإلقاء، مثل نصوص الموائثي. ثم قارن شولر بين مؤلفات الجاحظ ومؤلفات ابن قتيبة (٢٧٦هـ -) فقسّمها إلى كتب ورسائل، ولا حظ

الأسطى، ورمزي بعلبكي من الجامعة الأميركية عن الجاحظ والفيلولوجيا العربية، ووحيد بهمري من الجامعة الأميركية أيضاً عن الجاحظ والمقامات، وهانس داير من جامعة فرانكفورت عن مخطوطات جديدة لأعمال الجاحظ، وصالح أغا من الجامعة الأميركية عن اللغة والهوية عند الجاحظ، وفان غلدر من جامعة أوكسفورد عن كتاب «البرصان» للجاحظ (الفصل الخاص باليمن والأعسر)، وماهر جرار من الجامعة الأميركية عن الجاحظ والرائحة، وسوزان أندرفرتز من جامعة هايدلبرغ عن مقدمة كتاب «الحيوان»، وبيتر هيث مرة أخرى عن الجاحظ وادب المقالة، ولاله بهزادي من جامعة غوتنغن عن لغة التواصل عند الجاحظ، وأسمى أفشر الدين من جامعة نورثام من الجاحظ والمشروعية السياسية في كتاب «العثمانية»، وسيباستيان غينتر من جامعة تورنتو عن الجاحظ والترتبية.

كنت أرى أن التاليف العربي بدأ بأشكال أربعة: الشكل السري، واختصت به السيرة النبوية، والشكل الحديثي، أي من طريق سلسلة الرواة، وقد شاع في كتب الحديث والفقه الأولي، وفي كتب الاختياريين التاريخية ورسائلهم، وقصي ابن الأنبار، والشكل التوليدي، أي الرسائل الناجمة عن أسئلة وجوابات، والشكل اللغوي، وهو تفسير كلمة بكلمة أو كلمتين في مؤلفات تفسير القرآن. وكنت أرى أيضاً أن هذه الرسائل والتوليفات كانت جميعاً معرّضة للنمو، أي أنها كانت تلقى شفويّاً استناداً إلى ملاحظات مسجلة لدى الشيخ يقرؤها

بين العشرين والثاني والعشرين من كانون الثاني (يناير)، أي أيام عيد الأضحى بالضبط، أقام مركز الدراسات العربية والشرق أوسطية في الجامعة الأميركية في بيروت، بالاشتراك مع المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، المؤتمر الذي طال انتظاره بعنوان: «الجاحظ: إنساني مسلم، لعصرنا»، شاركت فيه نخبة من أساتذة الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأوروبية والأميركية، والجامعة الأميركية في بيروت، وتناولت المحاضرات الأبعاد المختلفة لفكر الجاحظ وكتابه وشخصيته، وأثره في الدراسات الأدبية والكلامية في عصره، وفي ما تلى من أزمة. قُدم للمؤتمر بيتر هيث نائب رئيس الجامعة الأميركية في بيروت، فتحدث عن مفاهيم الأدب، والمعاني المتداولة قديماً لذلك المصطلح، وعلاقته بالفكرة الإنسانية الحديثة. وتحدث الأستاذ جوزف فان أس، المختص المشهور بعلم الكلام الإسلامي فتناول الجاحظ المتكلم، وأسباب خفوت ذكره لدى متأخري المعتزلة، ومعنى وإمكان اعتباره إنسانياً. وحاضر ماثيو غوردون، الأستاذ في جامعة ميامي في أوهايو عن رسالة القيان للجاحظ، ومعناها الأدبي والثقافي، ومايكيل كوبرساي من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس عن الحنابلة والبخلاء، وعن صلة ظاهرة بينهما، وتيلمان زاينشتنكر من جامعة بينا في ألمانيا عن تصوير الجاحظ للشخصيات، وهيلاري كيلباتريك من جامعة زوريخ عن الجاحظ والموسيقى، وجورج صليبا من جامعة كولومبيا عن الجاحظ والعلم

أبو عثمان ونقد العلوم الأرسطية

ان المعلّم الرئيسي للرياضيات الفلكية، والتي أنتجت في القرون المتأخرة، أنه كانت هناك جهود جبارة لتجاوز النظريات الفلكية الكلاسيكية الإغريقية وغيرها. ويضع هذه المحاولات النقدية والبنائية في الوقت نفسه، تتسم بالسمات نفسها التي عرفت عن الصيغة النهائية لنظام كوبرنيكس (١٥٤٣م). وإذا كانت تلك القرون متمسكة بالنقد البناء للنظريات الفلكية الإغريقية، فإن من المنطقي والمفيد أن ترجع بها إلى بدايات النقول والتحاو مع تلك النظريات بالذات؛ ومن ضمن تلك العودة اكتشاف الأصوات التي كانت بدأت التصدي بالنقد لتلك التقاليد الفلكية القديمة.

لقد حاولت في الورقة الحاضرة أن انتقد التعابير الأولى لهذا «التقليد» النقدي للعلم الأرسطي، وليس في أعمال الرياضيين وعلماء الفلك فقط، بل ولدى أبناء مشهورين مثل الجاحظ، الذي تعامل مع الموروث الإغريقي مستقيماً وناقداً في الوقت نفسه. يبدو نقد الجاحظ للميراث العلمي الأرسطي من نماذج قليلة في كتاب «الحيوان». ولهذه الأمثلة أهمية فائقة لأنها تمت على يد مفكر معتزلي، في الوقت الذي كان المعتزليين مهتمين باقتباس الجانب المنطقي من التفكير الأرسطي ذاته.

وهذه النتيجة شبيهة للغاية، التي تخضع الانطباع السائد والقائل أن تلك القرون شهدت انحطاطاً علمياً وفي مجالات العلوم البحتة والتطبيقية بالذات.

* أستاذ تاريخ العلوم العربية في جامعة كولومبيا، الولايات المتحدة.



جورج صليبا *
أدت البحوث الحديثة والمعاصرة التي التوصل إلى نتائج سلبية إذا صح التعبير، وتتصلان بأمرين مهمين: الأمر الأول التشكيك في الدور الوسيط الذي قام به السريان في نقل العلم الإغريقي إلى العرب. والأمر الثاني التشكيك في الرأي السائد أن العلوم البحتة والتطبيقية انحطت لدى العرب والمسلمين بعد القرن الثاني عشر الميلادي. لقد أظهرت البحوث المستندة إلى المصادر السريانية عشية الإسلام وبعد ظهوره، مثل أعمال سرجيوس الراسعيني (٥٣٦م)، وسويروس سيبخت (حوالي ٦٦١م)، وجورج أسقف العرب (٧٢٤م) من بين مؤلفات أخرى أن أحد من هؤلاء لم يستعمل المصادر الإغريقية في شكل مباشر مثل المعجسطي لبطليموس، ومبادئ أقليدس، فضلاً عن إمكان نقلهم لها إلى السريانية أو العربية. ثم إن النصح الفاهر في ترجمات ورسائل أواخر القرن الثامن الميلادي ووائل التاسع، لا تشير إلى العرب استناداً إلى المصادر السريانية في الترجمة أو النقل. وهكذا، فكل الدلائل والدراسات المتاحة الآن، تقيد بما لا يدع مجالاً للشك أن العرب نقلوا ما نقلوه من علوم الإغريق عن المصادر الإغريقية مباشرة، ومن جهة أخرى، فإن المؤلفات التي تعرفها في الفلك، بالدراسات

عالم الكلام والكاتب وسؤال الإنسانيات

جوزف فان أس *
تتكون ورقتي لمؤتمر الجاحظ من جزئين مختلفين وإن يكن بينهما ارتباط وثيق. الجزء الأول يتصل بإسهامات الجاحظ في علم الكلام، ومسألة مدى الاستمرار زمنياً في اعتباره متكلماً ثم التحول للاهتمام أكثر بآدبه وإسهاماته في الفكر العربي. وفي هذا الصدد وجدت أنه لا بد من النظر في شكل أدق في تراث المعتزلة الكلامية، واستعمالات الجاحظ وارانته في ذلك الموروث. وقد امتن لي أن أضيف بعض التفاصيل إلى المسائل الكلامية عنده، كما أنني تتدعتت تعامل المعتزلة على اختلاف مدارسهم وميولهم مع توجهاته الكلامية إلى عصر وكتابات القاضي عبد الجبار بن أحمد (٤١٥هـ / ١٠٢٥م).

أما الجزء الثاني من الورقة فيبحث مدى صحة اعتبار الجاحظ بين الإنسانيين، استناداً إلى العناصر الموجودة في آرائه الكلامية. وقد اعتمدت في هذا الجزء كما في الجزء الأول من الورقة على المقترحات التي أوردها مترجمة في كتابي الكبير بالإنجليزية: «علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة»، (٤)، ص ٩٦ وما بعدها، بل وقد عدت إلى بعض المترجمات بالإنجليزية من جانبي وجانب الباحثين الآخرين. وفي هذا الصدد، لا اعتقد أنني أضفت كثيراً إلى ما سبق لي قوله؛

وإن يكن هناك إشكال جديد يتصل بكيفية التصرف إذا جرى الإصرار على اعتبار الجاحظ إنسانياً، كما هو عنوان هذا المؤتمر. وخاصة الأمر بالنسبة إلى الجزء الأول إن الجاحظ له آراء كلامية ليست شديدة الأصالة، كما أنها لا تشكل منظومة. ثم إن التطورات الكلامية منذ النصف الثاني من القرن الثالث تجاوزته بحيث ما عاد ضرورياً استخدام آرائه إلا على سبيل الطرفة والإعجاب، أما إنسانيته فهي سلباً وإيجاباً بمفهوم أو مفاهيم الإنسانيّة آنذاك، ومفهومها أو مفاهيمها في عصر الأنوار، واليوم، ويخيل إلي أن الجزء الباقي من

الثاني من القرن الثالث تجاوزته بحيث ما عاد ضرورياً استخدام آرائه إلا على سبيل الطرفة والإعجاب، أما إنسانيته فهي سلباً وإيجاباً بمفهوم أو مفاهيم الإنسانيّة آنذاك، ومفهومها أو مفاهيمها في عصر الأنوار، واليوم، ويخيل إلي أن الجزء الباقي من

الثقافة والتاريخ والدين: قراءة في مقدمة كتاب «الحيوان»

هو الضامن الوحيد للثقافة كونه تعبر عن وحدة الخلق والخالق. وهكذا، فبين النصوص التاريخية العربية والتي تشكل إنجازات سامية في حقل التجربة الإنسانية، والكتب السماوية التي تتضمن كلام الله، هناك نمط ثالث من الكتب ظهر في الإسلام، يرى الجاحظ في «الحيوان» جزءاً منه. أنه كتاب أدب، يشير إلى إنجازات الأقدمين، كما إلى الشعر العربي، وقدره الله، دونما مبالغة أو تقصير.

* جامعية ألمانية، درست الجاحظ في أطروحتها للدكتوراه.

سوزان أندرفيتز *
إذا أعمدنا النظر في مقدمة كتاب «الحيوان» للجاحظ، نجد أنها تغطي نحو المئة صفحة الأولى في الكتاب، ويبدو للوهلة الأولى أنها تتعاطى بالدرجة الأولى بذكر كتب أخرى ومصادر، وهي تصدح الكتاب والكتابة على العموم، وكتب الجاحظ نفسه بوجه خاص. يبدأ الجاحظ كتابه بالدفاع عن نفسه في مواجهة خصم مجهول معاد لكتابه، وهو في سبيل إثبات تميزه بذكر ثلاثين عنواناً لكتب سبق له أن اصدرها، مما يشكل مصدراً لا يقدر بثمن بالنسبة إلى الباحثين المحدثين في كتاباته، ولأولئك الذين يبحثون عن مراء نقوب وفراغات، في سيرته الفكرية وتطورات حياته، ومؤلفاته المفقودة.

ويتبنى الجاحظ مقدمته الطويلة بالتشديد على معارفه المتميزة، وقدرته باعتباره كاتباً محترفاً ومرحياً على معالجة أي موضوع شاء، ومن ضمن ذلك موضوع الكتاب: الحيوان. لكن الجاحظ ما ينفك منشغلاً بموضوع الكتاب والكتابة، حتى بعد نهاية المقدمة، والبدء بتقديم جديد، وهذا أمر يتجاوز ما نعرفه عن حبه للمعرفة المكتوبة.

وأحسب أن السبب في ذلك يرجع إلى الآتي: هناك من جهة «سلسلة الوجود الكبرى» الناجمة عن تزواج فكرة أفلاطون عن الخير، مع سبب الطبيعة، الأرسطو، مشكلة نظاماً صاعداً في تامل أنواع مخلوقات الله، والتي تصل في النهاية إلى الغناء الجماعي على كمال الخلق الإلهي، في أسفل هذه الهرمية نجد الشهادة الصامتة للمخلوقات تبعاً لموقعها في الكون (موضوع).

ويتبع ذلك أو يليه التعبير التلقائي للحيوانات من خلال دليل الغريزة، فإلى التعبير البرهاني من جانب الإنسان استناداً من الرسم، ثم إلى الذروة مع «التملك التواصلي» الذي يعنى تحقق الرسالة الموكولة إلى الإنسان (البيان). ولن توجد اللغة الكاملة، والتعبير الكامل عنها ليس في كلام الرجال، والبلغ، بل في كلمة الله المكتوبة، قديماً وحديثاً، ومن هنا يأتي اعتبارها أعلى أشكال الثقافة الإنسانية، وبذلك فهي النهاية الموازية لنظام الخلق الإلهي، وهكذا، فالجاحظ لا يشارك العلماء نظرتهم المتشائمة (وبخاصة المحدثين)، الذين يعتبرون أن «العلم الدني شاملاً، لكنه محدد بحدود، ويميل إلى التضاؤل والذبول على العكس من ذلك يرى الجاحظ أن الأور التي ازدهار، ونموذجها «القرن الوافق جون سالسبورني في القرن الحادي عشر، لكنه ربما كان أقدم.

ونقرأ في المقدمة أن كتب الأقدمين لا يمكن الاستغناء عنها، لأن إنجازاتنا ضئيلة

كما لا يرد للجاحظ في مؤلفات معاصريه من اللغويين والنحويين، ولا في مؤلفات المتأخرين منهم. وهناك ذكر له في حالتين، لكنه منكمسور للتخطئة والرد عليه.

٣ - يهتم الجاحظ بنقد وجوه معينة من التقليد النحوي، لكنه مهم أكثر بنقد النحويين أنفسهم (من مثل الخليل بن أحمد أو عيسى بن عمر).

٤ - وهناك حالات يعهد فيها النحويون لمهاجمة الجاحظ مباشرة، من مثل تعليقه على بيت الشعر المعروف: فلتست بالكثير منهم حصي / وإنما العزة للكثير

٥ - التحدي؛

١ - الإعراب: يشير الجاحظ في حالات عدة إلى أن الاهتمام بالإعراب، يؤدي إلى تضيق معنى الطرفة التي يقصدها المولدون والعوام والمبدعين، وذلك فهو يرفض الاهتمام الزائد من جانب النحويين بالإعراب الذي يتجاهل معاني الكلام، ومقاصد المتكلم.

٢ - اللحن: هناك ما يدل على إقرار الجاحظ للحن، بل استحبابه، إذ أنه يقبل حدوده، ويتعامل معه باعتباره ظاهرة عادية تستحق الدراسة، ويمكن أن تكون لها مشروعية. ونلفت هنا إلى استشهاده بالبيت المشهور: منطلق صائب وتلحن أحبا / نأ وأحلى الحديث ما كان لحناً

٣ - المناهج النحوية: يعتبر الجاحظ النحو مفيداً إذا لم يتجاوز حدوداً معينة، وهو يسخر من النحويين لذهمهم في تعلم المسائل المهمة، وعدم قدرتهم على ممارسة القياس، وللتعقيد الذي يخالف أساليبهم.

٤ - الأبعاد الجديدة؛

١ - الفونولوجيا: الصوت باعتباره أهم وسائل التعبير والتشكيل، ودراسة عيوب الكلام (الكسنة) والعوامل الاجتماعية والإنسية المحيطة بالأصوات.

٢ - المورفولوجيا: مفاهيم التقطيع وتكوين الكلمات، ونظم المفردات للتوصل إلى كلام مفهوم.

٣ - النحو والصرف: الإعلاء من شأن السوائد حول الشكل، ومركزية المضمون، ومفهوم البيان، والجاحظ باعتباره سلفاً للجرجاني.

٤ - مسائل اجتماعيات اللغة: النوع اللساني استناداً إلى الأصل الاجتماعي أو الحرفية، ودور الأصل الإنسي في اللغة، والتأثير المتبادل بين المحلي والإقليمي في الدارجة، وشمولية تطبيقات مفهوم البيان.

* أستاذ الساميات في الجامعة الأميركية في بيروت.

صاحب «البيان»: خصومة مع النحويين واللغويين

الذي لقيه مؤلفاته خارج هذين الحقلين، وعلى رغم عمق نظرتيه في المسائل اللغوية، كما تشير إلى ذلك كتبه ورسائله.

١ - لا ترد ترجمة للجاحظ في المصادر التي تُعنى بترجمات النحويين واللغويين باستثناء ثلاث حالات.

٢ - كما لا يرد ذكر الجاحظ في مؤلفات معاصريه من اللغويين والنحويين، ولا في مؤلفات المتأخرين منهم. وهناك ذكر له في حالتين، لكنه منكمسور للتخطئة والرد عليه.

٣ - يهتم الجاحظ بنقد وجوه معينة من التقليد النحوي، لكنه مهم أكثر بنقد النحويين أنفسهم (من مثل الخليل بن أحمد أو عيسى بن عمر).

٤ - وهناك حالات يعهد فيها النحويون لمهاجمة الجاحظ مباشرة، من مثل تعليقه على بيت الشعر المعروف: فلتست بالكثير منهم حصي / وإنما العزة للكثير

٥ - التحدي؛

١ - الإعراب: يشير الجاحظ في حالات عدة إلى أن الاهتمام بالإعراب، يؤدي إلى تضيق معنى الطرفة التي يقصدها المولدون والعوام والمبدعين، وذلك فهو يرفض الاهتمام الزائد من جانب النحويين بالإعراب الذي يتجاهل معاني الكلام، ومقاصد المتكلم.

٢ - اللحن: هناك ما يدل على إقرار الجاحظ للحن، بل استحبابه، إذ أنه يقبل حدوده، ويتعامل معه باعتباره ظاهرة عادية تستحق الدراسة، ويمكن أن تكون لها مشروعية. ونلفت هنا إلى استشهاده بالبيت المشهور: منطلق صائب وتلحن أحبا / نأ وأحلى الحديث ما كان لحناً

٣ - المناهج النحوية: يعتبر الجاحظ النحو مفيداً إذا لم يتجاوز حدوداً معينة، وهو يسخر من النحويين لذهمهم في تعلم المسائل المهمة، وعدم قدرتهم على ممارسة القياس، وللتعقيد الذي يخالف أساليبهم.

٤ - الأبعاد الجديدة؛

١ - الفونولوجيا: الصوت باعتباره أهم وسائل التعبير والتشكيل، ودراسة عيوب الكلام (الكسنة) والعوامل الاجتماعية والإنسية المحيطة بالأصوات.

٢ - المورفولوجيا: مفاهيم التقطيع وتكوين الكلمات، ونظم المفردات للتوصل إلى كلام مفهوم.

٣ - النحو والصرف: الإعلاء من شأن السوائد حول الشكل، ومركزية المضمون، ومفهوم البيان، والجاحظ باعتباره سلفاً للجرجاني.

٤ - مسائل اجتماعيات اللغة: النوع اللساني استناداً إلى الأصل الاجتماعي أو الحرفية، ودور الأصل الإنسي في اللغة، والتأثير المتبادل بين المحلي والإقليمي في الدارجة، وشمولية تطبيقات مفهوم البيان.

* أستاذ الساميات في الجامعة الأميركية في بيروت.

رمزي بعلبكي *
الأمر الذي يبعث على الاستعجاب، ضالة افساد المصادر النحوية واللغوية من آثار الجاحظ وأعماله، وذلك على رغم الغناء العاطر الذي يبعث على الإعجاب، وعلى

١ - لا ترد ترجمة للجاحظ في المصادر التي تُعنى بترجمات النحويين واللغويين باستثناء ثلاث حالات.

٢ - كما لا يرد ذكر الجاحظ في مؤلفات معاصريه من اللغويين والنحويين، ولا في مؤلفات المتأخرين منهم. وهناك ذكر له في حالتين، لكنه منكمسور للتخطئة والرد عليه.

٣ - يهتم الجاحظ بنقد وجوه معينة من التقليد النحوي، لكنه مهم أكثر بنقد النحويين أنفسهم (من مثل الخليل بن أحمد أو عيسى بن عمر).

٤ - وهناك حالات يعهد فيها النحويون لمهاجمة الجاحظ مباشرة، من مثل تعليقه على بيت الشعر المعروف: فلتست بالكثير منهم حصي / وإنما العزة للكثير

٥ - التحدي؛

١ - الإعراب: يشير الجاحظ في حالات عدة إلى أن الاهتمام بالإعراب، يؤدي إلى تضيق معنى الطرفة التي يقصدها المولدون والعوام والمبدعين، وذلك فهو يرفض الاهتمام الزائد من جانب النحويين بالإعراب الذي يتجاهل معاني الكلام، ومقاصد المتكلم.

٢ - اللحن: هناك ما يدل على إقرار الجاحظ للحن، بل استحبابه، إذ أنه يقبل حدوده، ويتعامل معه باعتباره ظاهرة عادية تستحق الدراسة، ويمكن أن تكون لها مشروعية. ونلفت هنا إلى استشهاده بالبيت المشهور: منطلق صائب وتلحن أحبا / نأ وأحلى الحديث ما كان لحناً

٣ - المناهج النحوية: يعتبر الجاحظ النحو مفيداً إذا لم يتجاوز حدوداً معينة، وهو يسخر من النحويين لذهمهم في تعلم المسائل المهمة، وعدم قدرتهم على ممارسة القياس، وللتعقيد الذي يخالف أساليبهم.

٤ - الأبعاد الجديدة؛

١ - الفونولوجيا: الصوت باعتباره أهم وسائل التعبير والتشكيل، ودراسة عيوب الكلام (الكسنة) والعوامل الاجتماعية والإنسية المحيطة بالأصوات.

٢ - المورفولوجيا: مفاهيم التقطيع وتكوين الكلمات، ونظم المفردات للتوصل إلى كلام مفهوم.

٣ - النحو والصرف: الإعلاء من شأن السوائد حول الشكل، ومركزية المضمون، ومفهوم البيان، والجاحظ باعتباره سلفاً للجرجاني.

٤ - مسائل اجتماعيات اللغة: النوع اللساني استناداً إلى الأصل الاجتماعي أو الحرفية، ودور الأصل الإنسي في اللغة، والتأثير المتبادل بين المحلي والإقليمي في الدارجة، وشمولية تطبيقات مفهوم البيان.

* أستاذ الساميات في الجامعة الأميركية في بيروت.

الذي لقيه مؤلفاته خارج هذين الحقلين، وعلى رغم عمق نظرتيه في المسائل اللغوية، كما تشير إلى ذلك كتبه ورسائله.

١ - لا ترد ترجمة للجاحظ في المصادر التي تُعنى بترجمات النحويين واللغويين باستثناء ثلاث حالات.

٢ - كما لا يرد ذكر الجاحظ في مؤلفات معاصريه من اللغويين والنحويين، ولا في مؤلفات المتأخرين منهم. وهناك ذكر له في حالتين، لكنه منكمسور للتخطئة والرد عليه.

٣ - يهتم الجاحظ بنقد وجوه معينة من التقليد النحوي، لكنه مهم أكثر بنقد النحويين أنفسهم (من مثل الخليل بن أحمد أو عيسى بن عمر).

٤ - وهناك حالات يعهد فيها النحويون لمهاجمة الجاحظ مباشرة، من مثل تعليقه على بيت الشعر المعروف: فلتست بالكثير منهم حصي / وإنما العزة للكثير

٥ - التحدي؛

١ - الإعراب: يشير الجاحظ في حالات عدة إلى أن الاهتمام بالإعراب، يؤدي إلى تضيق معنى الطرفة التي يقصدها المولدون والعوام والمبدعين، وذلك فهو يرفض الاهتمام الزائد من جانب النحويين بالإعراب الذي يتجاهل معاني الكلام، ومقاصد المتكلم.

٢ - اللحن: هناك ما يدل على إقرار الجاحظ للحن، بل استحبابه، إذ أنه يقبل حدوده، ويتعامل معه باعتباره ظاهرة عادية تستحق الدراسة، ويمكن أن تكون لها مشروعية. ونلفت هنا إلى استشهاده بالبيت المشهور: منطلق صائب وتلحن أحبا / نأ وأحلى الحديث ما كان لحناً

٣ - المناهج النحوية: يعتبر الجاحظ النحو مفيداً إذا لم يتجاوز حدوداً معينة، وهو يسخر من النحويين لذهمهم في تعلم المسائل المهمة، وعدم قدرتهم على ممارسة القياس، وللتعقيد الذي يخالف أساليبهم.

٤ - الأبعاد الجديدة؛

١ - الفونولوجيا: الصوت باعتباره أهم وسائل التعبير والتشكيل، ودراسة عيوب الكلام (الكسنة) والعوامل الاجتماعية والإنسية المحيطة بالأصوات.

٢ - المورفولوجيا: مفاهيم التقطيع وتكوين الكلمات، ونظم المفردات للتوصل إلى كلام مفهوم.

٣ - النحو والصرف: الإعلاء من شأن السوائد حول الشكل، ومركزية المضمون، ومفهوم البيان، والجاحظ باعتباره سلفاً للجرجاني.

٤ - مسائل اجتماعيات اللغة: النوع اللساني استناداً إلى الأصل الاجتماعي أو الحرفية، ودور الأصل الإنسي في اللغة، والتأثير المتبادل بين المحلي والإقليمي في الدارجة، وشمولية تطبيقات مفهوم البيان.

* أستاذ الساميات في الجامعة الأميركية في بيروت.



إخراج البطم فإن يوصف أمهاله ويطربع العمل ونزله من المثل للبار والرتب أو من غير ذلك فإن حال العمل يشبه ألبطرس ما العمل للزور يبع الأذوية الطبيعية ونشر شراهم ورجبا فإن جازم مزاج المستعمل للزور إدارة المظلم وقصته أخراج المزارع المزدود وكان أمه المثلما ويطربع بعرضه شراهم ورجبا وإذا أخرج من غير ذلك فإن حال العمل يشبه ألبطرس ما العمل للزور يبع الأذوية الطبيعية ونشر شراهم ورجبا فإن جازم مزاج المستعمل للزور إدارة المظلم وقصته أخراج المزارع المزدود وكان أمه المثلما ويطربع بعرضه شراهم ورجبا وإذا أخرج من غير ذلك فإن حال العمل يشبه ألبطرس ما العمل للزور يبع الأذوية الطبيعية ونشر شراهم ورجبا فإن جازم مزاج المستعمل للزور إدارة المظلم وقصته أخراج المزارع المزدود وكان أمه المثلما ويطربع بعرضه شراهم ورجبا